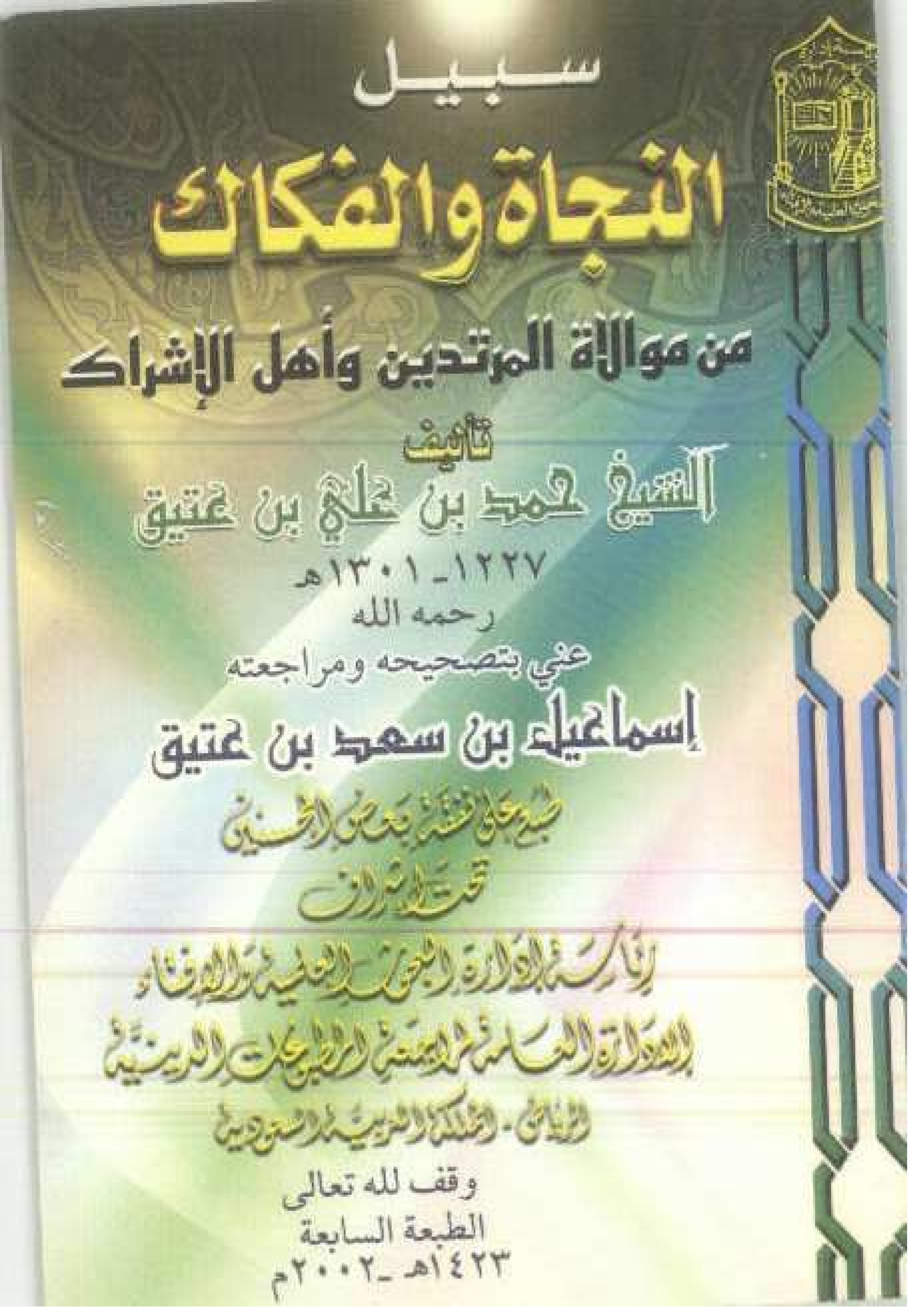

سبيل
النجاة والفكاك
من موالاة المرتدين وأهل الإشراك
تأليف
الشيخ حمد بن علي بن عتيق
١٢٢٧-١٣٠١هـ
رحمه الله
عني بتصحيحه ومراجعته
إسماعيل بن سعد بن عتيق
طبع على نفقة بعض المحسنين
تحت إشراف
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
الطبعة السابعة
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م



سبيل
النجاة والفكاك
من موالاة المرتدّين وأهل الإشراك

تأليف

الشيخ / حمد بن علي بن عتيق

١٢٢٧ـ١٣٠١هـ

رحمه الله

عني بتصحيحه ومراجعته

إسماعيل بن سعد بن عتيق

طبع على نفقة بعض المحسنين

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة السابعة

١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة السابعة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن عتيق، حمد بن علي
سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك .- الرياض.
١٣٦ ص، ١٢×١٧ سم
ردمك: ٥-٢٢٢-١١-٩٩٦٠
١- الولاء والبراء في الإسلام ٢- العقيدة الإسلامية ٣- الإسلام والمسيحية
أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢٣/١٧٢١

رقم الإيداع: ٢٣/١٧٢١
ردمك: ٥-٢٢٢-١١-٩٩٦٠

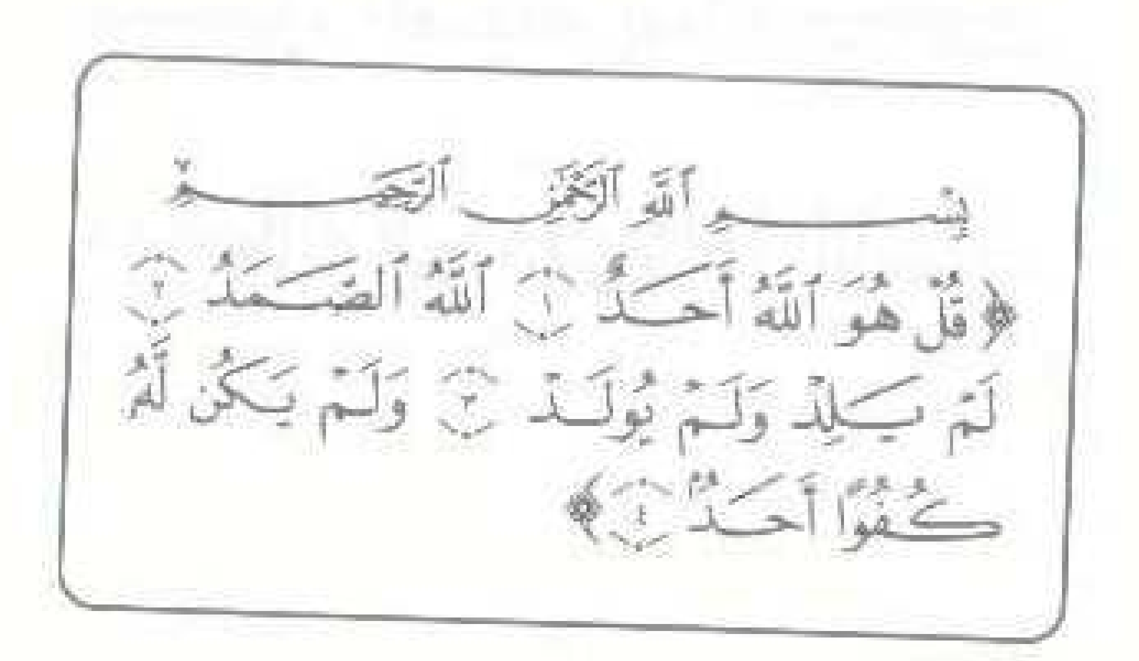
تمت مراجعة وتصحيح هذه النسخة على النسخة التي
قام بتحقيقها فضيلة الشيخ د/ الوليد بن عبدالرحمن الفريان
ط/ ١٤٠٩هـ - مطابع دارطبية - الرياض

سبيل النجاة والفكاك

من موالاة المرتدّين وأهل الإشراك

عني بتصحيحه ومراجعته

إسماعيل بن سعد بن عتيق



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢)
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ
كُفُوًا أَحَدٌۢ (٤)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف(١)

هو العالم العلامة، المجاهد، القاضي، الشيخ حمد ابن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة، المعروف بابن عتيق، وأسرته من أشهر الأسر الضاربة في أطناب نجد.

ولد رحمه الله تعالى في بلد الزلفي - عام ١٢٢٧هـ - ونشأ بها وتعلم القرآن، وتشبث بطلب العلم وهو في سن الصغر.

وتلقى العلم عن أئمة الدعوة الأعلام في الدرعية والرياض، واتصل سنده بالعلامة المجدد: (الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب).

---

(١) تمت الإضافة لترجمة المؤلف رحمه الله من مقدمة كتاب [إبطال التنديد] بقلم الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق [الناشر].

وقد حمل أمانة العلم والتعليم، فنقلها إلى عدد كبير من أهالي نجد، وبالأخص في الأقاليم التي ولي بها القضاء: الخرج وحوطة بني تميم والأفلاج.

وأخذ عنه العلم كثير من علماء نجد، ومن أشهرهم: الشيخ العلامة عبدالله ابن الشيخ عبداللطيف، والشيخ العلامة سليمان بن سحمان، وأبناؤه العلماء الأجلاء: الشيخ سعد، والشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ إسحاق، وغيرهم.

عرف رحمه الله بقوة المصادمة لأهل الباطل، وحنكته في مجابهة الخصوم فقد ألف [سبيل النجاة والفكاك] لإلهاب الحماس ضد الدولة العثمانية، حينما كانت حرباً على نجد فلم تفلح، وذلك بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله.

وكان رحمه الله مشهوراً بالكرم والورع، والإقبال على العبادة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في

الله لومة لائم، وقد وقع في نجد في زمنه فتن عظيمة، فكان من أعظم الناس صبراً وجهاداً بسيفه ولسانه، ولم يألو جهداً في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن. وكان بينه وبين الشيخ العالم عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن المكاتبات المشهورة المذكورة، غالبها في [مجموعة الرسائل النجدية].

أسس بيت عز وشرف لأسرته، صرحه العلم، وزخرفه العمل الصالح، حتى لقد أشتهر على ألسن العامة والخاصة من أهالي نجد قول الشاعر الكبير الشيخ محمد ابن عثيمين يرثي شيخه العلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق نجله الأكبر:

بني لكم حمد يا للعتيق علا	لم يبنها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به	على الجهول ولو من جده مضر

سعى في إخماد الفتنة بين ابني الإمام فيصل بن تركي الأميرين: عبدالله وسعود في حال اختلافهما على الحكم

وتشاجرهما عليه.

رد على كثير ممن ناوأ الدعوة السلفية، وذلك ضمن رسائله المدونة.

وولاه الإمام فيصل رحمه الله تعالى قضاء بلد الدلم، القرية المعروفة في الخرج، ثم نقله منها إلى الحلوة، القرية المشهورة في حوطة بني تميم، ومنها إلى الأفلاج، وبها استقر حتى توفي سنة ١٣٠١هـ، إحدى وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، ودفن ببلد العمار، وقبره معروف إلى الآن بها.

وله مؤلفات نافعة، منها: [إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد] و[سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك] و[الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين] و[الدفاع عن أهل السنة والاتباع] و[التحذير من السفر إلى بلاد المشركين ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] و[المراسلات] و[المسائل

والفتوى].

وله رسالة في نحو الكراستين في الرد على ابن دعيج في رسالته التي ضمنها تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين، وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين، وله غيرها من الرسائل الشيء الكثير.

وكان رحمه الله يقول الشعر، سريع البديهة، كتب إليه ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين:

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو ... أنه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما ... قال تاريخي له (يمن أغر)

فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول:

يا إلهي لاتخيب سعيه ... أوله التوفيق حقاً والظفر
واجعل العلم اللدني حظه ... أوله فهم المنزل والأثر
اعطه رزقاً حلالاً واسعاً ... كافياً حاجاته في ذا السفر
اكفه جميع محذوراته ... حادثات البر أيضاً والبحر

أنجب عشرة من الولد كلهم علماء، ولي القضاء منهم في عهد الإمام عبدالعزيز رحمه الله الشيخ سعد في

الرياض عاصمة المملكة، ومنشأ الدولة السعودية الحديثة، والشيخ عبدالعزيز في وادي الدواسر، والأفلاج ومضارب بادية الجنوب مما يلي نجران، والشيخ عبداللطيف في رنية، وكانت آنذاك معقل تجمع كبير للإخوان المجاهدين من قبائل سبيع والأشراف، والشيخ عبدالله في الغطغط، تمركز قبيلة عتيبة ودار هجرة لمن تدين، ودخل ضمن الإخوان المجاهدين. أما بقية أنجاله فهم: إسماعيل وإسحاق ومحمد وعلي وعبدالرحمن وعبدالله الثاني، فكانوا نجوم هدى، وبدور دجى، تفرغوا للتعليم والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظلت وراثة العلم سارية في أحفاده وأبنائهم إلى يومنا هذا.

توفي رحمه الله سنة (١٣٠١هـ) في الأفلاج عن عمر يناهز السبعين سنة.

وقد رثاه العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة

المفيـدة الشيـخ سليمـان بن سحمـان رحمـه الله تعـالى فقال:

على الحبرِ بَحرِ العلم بدر المنابر ... وشمس الهدى فليبكِ أهلُ البصائرِ
وأيّة عيـن لا تشح بمـائهـا ... عليـه كثج المعْصِـرات المـواطرِ
فلا نعمتْ يوماً ولا قلبُ قالني ... خلي من الأشجان ليس بغائر
فوا لهفاً من فادح جلّ خطبُه ... وثلم من الإسلام إحدى الفواقر
ورزءٍ فظيع بل مُريع ولائع ... بشمس هدىً أضحى نزيلَ المقابر
يعزُّ علينا أن نرى اليوم مثله ... لحلّ عَويصي المشكلات البوادر
وللشبهات المعضلات وردها ... إذا مـا تبـدت من كفـورٍ مقـامر
فللّـه مِنْ حبـر تصعـد للعـلا ... فحل على هـام النجـوم الـزواهر
وللّـه من حبـر إمـام وبَلْتَـع ... يعـومُ بتيـارٍ مـن العلـم زاخـر(١)
ويقفـو لآثـار النبي وصحبـه ... يجـددُ مـن منهـاجهـم كـل داثـر
ويحي علامات من العلم قدْ عفتْ ... ويعمـرُ مـن بنيـانـه كـل دامـر
إمام تزيا بالعبـادة فـاستمى ... بها وارتقى مجداً سمي المظاهر
لقد كان إماماً في السماحة والندى ... فليس لـه في عصـره من منـاظر

(١) البلتع: الحاذق بكل شيء، يعوم: يسبح، التيار: موج البحر إذا هاج.

وفي الحلم قد أضحى لعمرك آية ... وفي العلم ذو حظٍ أطيدٍ ووافر[(١)]
تقـي نقـي المعـيّ مهـذّبٌ ... أريبٌ رسيبَ الجأشِ ليس بطائر[(٢)]
فأضحى رهيناً في المقابر آوياً ... وصار إلى رب كريم وغافر
لقد صابنا صابٌ من الحزن مفجع ... لدن طرق الناعي بفخر المحاظر
وأرّق جفنَ العين خَطبٌ عصبصب ... يضعضعُ من ركن الهدى كل عامر
فجالت لنا الأشجان من كل جانب ... وأظلم في نجد سَطيعُ الدّساكر
فيا أيها الإخوان لا تسأموا البكاء ... على عَلَمِ الأعلام بدر المنابر
فما حمدٌ في العلم إلا متوجٌ ... حميد المساعي مشمعل المآثر
تغمده المولى الكريم بفضله ... ورحمته والله أقدرُ قادر
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ... مع الصالحين الطيبين الأطاهر[(٣)]

---

(١) أطيد: متمكن.
(٢) الأريب: الماهر، الرسيب: من الرجال الحليم الثابت.
(٣) انظر القصيدة كاملة في [ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان] شعر علامة الزمان الشهير سليمان بن سحمان ـ منشورات مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية بالرياض، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّماً بلا اعوجاج، وجعله عصمةً لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشِّرْعة والمنهاج، والصلاة والسلام على محمد الذي مزَّق الله ظلامَ الشرك بما معه من السراج، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج.

أما بعد: فإني قد تكلمت وشدَّدت في النهي عن موالاة المشركين، ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة الكافرين.

ثم كتبت في ذلك بعضَ الآيات الدَّالة عليه، مع كلماتٍ قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين، وما كنت أظن أن من قرأ القرآن، وآمن أنه كلام الله وأن الله تعبَّدنا بالعمل به والقيام - إلاَّ إذا سمع ذلك

أذعن له وانقاد، وبادر إلى السمع والطاعة لحكمه؛ لقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٣).

فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين إنكارٌ لذلك، وجحد لما أوجب الله الإقرار به والقيام، فصار المنتسبون

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٣) سورة طه، الآيات ١٢٣-١٢٦.

إلى العلم المُدَّعون أنهم من طلبته في ذلك على أقسام:

طائفة منهم: استحسنت المعارضةَ الجاهلة الضَّالَّة ورضيتها، وإن لم تصرح بذلك فإنه ظاهر على وجوهها.

وطائفة: كرهت المعارضة، واستجهلت صاحبها، ولكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من ردِّ ذلك، والإنكار على سالكه. ولولا ما وقع لهؤلاء لما كان المعارِضُ مساوياً لمن يجاوبه، فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا المعارض، نقض فيها أقوالَه نقضاً بديعاً، وهي كافية في الرد عليه، فصار شيخنا هو إمام الطائفة الرَّادَّة لأقوال أهل الباطل، المنكرة لها، والله ناصرُ دينَه، ومظهرَه على الدين كله ولو كره الكافرون.

ثم إني كاتب إن شاء الله كلمات، فيها بيان لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب إلى الإسلام، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم؛ لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ

أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[2].

منها: وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم.

ومنها: شيء مما يصير به الرجل مرتداً. **ومنها**: ما يعذرُ الرجلُ به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم، **ومنها**: مسألةُ إظهار الدين. **ومنها**: مسألة الاستضعاف. **ومنها**: وجوب الهجرة، وأنها باقية.

وسميت هذا الكتاب **[سبيلُ النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك]**.

وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الإخلاص، وأن ينفع به من قرأه أو سمعه؛ طلباً للنجاة والخلاص.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق: فبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، فما من خير إلا دلَّهُم عليه، وعرَّفهم الطرقَ الموصلة إليه، وما من شر إلا حذرهم منه، وسد عليهم أبوابه المفضية إليه.

ومن أعظم ذلك: أنه أخبرهم: (أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ)، وأخبرهم بظهور الفتن التي (كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا)، فكان وقوع هذا لما وقع هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله، ومما أخبر به: أن أمته تُقاتل الترك الكفار، ووصفهم بأنهم صِغَار العيون، ذُلْف الأنوف، فكأن وجوههم المَجانُّ المُطْرَقة، ومعنى ذلف الأنوف: أنها قصار مُنْبَطِحَة، والمَجانُّ: جمع المِجَنِّ، وهو التُّرْسُ، أراد: أن وجوههم مستديرة ناتئة وجناتها، هذا معنى كلام

البغوي في [شرح السنّة][١].

فكان من حكمة الله وعدله أن سلّطهم على المسلمين في المائة الثالثة عشرة، فخرجوا على أهل الديار النجدية؛ لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية، ودعوا إلى الطريقة المحمدية، ولكن حصل من بعضهم ذنوب، بها تسلطت هذه الدولة الكفرية، فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية، وإن كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية، والله تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وامتحن أهلُ الإسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حادثة ظهور التتار في زمنه، وهم بادية الترك، فناسب أن نذكر بعضَ كلامه.

قال رحمه الله تعالى: فإنَّ هذه الفتنة التي ابتُلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد، الخارج عن شريعة الإسلام، قد جرى فيها شبيهٌ بما جرى للمسلمين مع

---

(١) [شرح السنة] للبغوي تحقيق/ زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط. المكتب الإسلامي (١٥/ ٣٦، ٣٧).

عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيّه والمؤمنين، مما هو أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً، إلى يوم القيامة، فإن نصوص الكتاب والسنّة، اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي، أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة، كما نالت أولها.

وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم؛ لتكون عبرة لنا، فَنُشَبِّهُ حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين.

كما قال تعالى لما قَصَّ قصة يوسف مفصَّلة، وأجمل ذكر قَصَص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[1]، أي: هذه

---

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة. وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦ ﴾[1]. وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه ببدر وغيرها: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣ ﴾[2]، وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ... ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ ﴾[3].

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة، وممن قبلها من الأمم.

---

(١) سورة النازعات، الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣.

(٣) سورة الحشر، الآية ٢.

وذكر في غير موضع: أن سنته في ذلك سنة مطردة وعادته مستمرة، فقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾[2].

وأخبر سبحانه: أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب الكافرين من المستقدمين، فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبّق الخافقين

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٦٠ ـ ٦٢.

(٢) سورة الفتح، الآيتان ٢٢، ٢٣.

خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاقُ ناصيةَ رأسه، وكَشَّر فيها الكفرُ عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يُجتثَّ ويخترم، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم، وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض: أن ما وعدهم الله ورسوله إلاَّ غروراً، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً، وزُين ذلك في قلوبهم، وظنوا ظن السوء، وكانوا قوماً بوراً.

ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيراناً، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب؛ لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يُغيث اللهفان، وميَّز الله فيها أهل البصائر والإيقان، من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع

بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكَفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى.

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود، وفر الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذ كان لكل امرىء منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه، لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسه، كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال، وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال، وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع، وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع، ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح، والبر والتقوى، وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي تكنُّها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال

يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل، وذم سادته وكُبَراءَه من أطاعهم فأضلوه السبيلا، كما حمد ربَّه من صَدق في إيمانه، فاتخذ مع الرسول سبيلاً.

وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الإخبار بما يكون، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمّة محدَّثون ـ أي: مُلهمون ـ كما تواطأت عليه المبشِّرات التي أُريها المؤمنون، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة، حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس بين مأجور ومعذور، وآخر قد غرّه بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزاً من الله وتقسيما ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾[1])[2].

قلت: وما ذكره من الامتحان والافتتان، قد رأينا ما هو نظيره أو أعظم منه في هذه الأزمان، وكذلك انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ناصرٌ لدين الإسلام، وساعٍ في ذلك بكل جهده، وهم القليلون عدداً، الأعظمون عند الله أجراً.

القسم الثاني: خاذل لأهل الإسلام، تاركٌ لمعونتهم.

القسم الثالث: خارج عن شريعة الإسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم. وقد روى الطبراني، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «من أعان صاحبَ باطلٍ ليدحض بباطله حقاً، فقد بَرِئتْ منه ذمةُ الله وذمة رسوله».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٤.

(٢) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية] جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٢٨/ ٤٢٥ ـ ٤٢٩).

فصل

وهذا أوان الشروع في المقصود:

فأما معاداة الكفّار والمشركين، فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم وشدّد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) ﴾[1].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: (فأهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربَّهم، وركوبهم فيها ما نَهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكِّهم في دين الله الذي لا يُقْبلُ من أحدٍ عملاً إلا بالتّصديق به،

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١.

والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً.[(١)]

قال ابن كثير: (وهذا الذي قاله حسنٌ، فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[(٢)]، فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾[(٣)]...؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) [تفسير الطبري] تحقيق/ محمود محمد شاكر (١/ ٢٨٩).

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٣.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٤.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾[١]، أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، . . . يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً)[٢] . اهـ.

وهذا الذي ذكره، قد والله سمعناه ورأينا أهله، فإنه إذا قيل لهم: ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد؟ قالوا: نريد أن نُصلح أحوالنا، ونستخرجُ دنيانا منهم، ويكون لنا يدٌ عندهم.

وبعضهم: إذا ظنَّ بالله ظن السوء من إدالة أهل

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١.

(٢) [تفسير القرآن العظيم] للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ـ تحقيق. سامي بن محمد السلامة ـ ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض (١/ ١٨١).

الباطل، ورأى من له اتصال بهم وتوصل إليهم ـ اتخذه صديقاً، ورضي به جليساً، قائلاً بلسان حاله: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾[1]، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير: (ثم وَصَفَهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى: أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويُسِرُّون إليهم بالمودة، ويقولون لهم

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢.

(٣) سورة النساء، الآيات ١٣٨ ـ ١٤٤.

إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزؤون، أي: بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة، قال الله تعالى منكراً عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾[2].

والمقصود من هذا: التهييج على طلب العزَّة من جناب الله تعالى، والالتجاءُ إلى عُبُودِيَّتِه، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النُّصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد[3].

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٣) [تفسير ابن كثير] (٢/ ٤٣٥).

قلت: فإذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين، فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها.

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[1].

فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومن يوال الكافرين ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فقد برىء من الله وبرىء الله منه، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد؛ حفظاً للإسلام والتوحيد.

وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾[١].

قال شيخ الإسلام: فبيّن سبحانه وتعالى: أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم[٢].

قلت: رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه، والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم، بل يعادونهم كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ٨٠، ٨١.

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] تحقيق وتعليق د/ ناصر العقل (١/ ٥٥٠) ط/ السابعة عام ١٤١٩هـ ـ توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]، فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم، أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقد روى ابن أبي حاتم، عن محمد بن سيرين، قال: قال عبدالله بن عُتبة: (ليتقِ أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر) قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى

(١) سورة المائدة، الآيتان ٥١، ٥٢.

قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ الآية[١].

وكذلك من تولى الترك فهو تركي، ومن تولى الأعاجم فهو عَجَمي، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفّار.

ثم أخبر تعالى: أن الذين في قلوبهم مرض -أي: شك في الدين وشبهة، يسارعون في الكفر قائلين: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين، قالوا: نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيتسلطوا علينا، فيأخذوا أموالنا، ويشردونا من بلداننا، وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال الله فيه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝﴾[٢]؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ

---

(١) [تفسير ابن كثير] (٣/ ١٣٢).

(٢) سورة الفتح، الآية ٦.

عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾(١)، و(عسى) من الله واجب، والحمد لله الذي أتى بالفتح، فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾(٢)، فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفّار، وبيّن أن موالاتهم تنافي الإيمان.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٧.

وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾[1]، فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه - اللَّذين هما أقرب الناس إليه - إذا كان دينهما على غير الإيمان، وبيَّن أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين - فهو ظالم، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه؟! أفلا يكون هذا ظالماً؟! بلى، والله إنه لمن أظلم الظالمين.

ثم بيَّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً على أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله، أو مشحَّةً بعشيرته، أو مخافةً على زوجاته، فإن الله قد سدَّ على الخلق باب الاعتذار بهذه الثمانية، وذلك أن ما من أحد يوالي المشركين إلَّا وهو

(١) سورة التوبة، الآيتان ٢٣، ٢٤.

يعتذر بها أو ببعضها، وقد بان أنَّ هذا ليس بعذر.

فإن قيل: إنه قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية ليست عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا، كما دلت على الجهاد، فإنه قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فإن محبة الله ورسوله تُوجب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية، وتقديمها عليها، كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها، وبالله التوفيق.

وهذا إذا سمعه المنصف يكون عنده ظاهراً، وأما من

أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾[2].

فأخبر: أن الكافرين إذا لم يوالِ بعضهم بعضاً بأن ينحازوا عن المسلمين ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير.

فتبيَّن أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين، بترك واجباته، وارتكاب محرماته، والخروج عن شرائعه، وسبب للفساد في الأديان والأبدان والأموال،

---

(١) سورة يونس، الآيتان ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٧٢، ٧٣.

فأين هذا من أقوال أهل الفساد والمجون: إن موالاة المشركين صلاح وعافية وسلامة؟!!

وقال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١). فأخبر تعالى عن الكفار: أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا، ثم نهى أهل الإيمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٩.

وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[(1)] إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾[(2)].

وقد ثبت في [الصحاح]: أن هذه السورة نزلت في

---

(١) سورة الممتحنة، الآيات ١ ـ ٩.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ١٣.

رجل من الصحابة، لما كتب إلى أهل مكةَ يُخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم عام الفتح، فأنزل الله هذه الآيات بخبر هذا الكتاب، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عقيصة رأسها، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك، ولكنه ليس له من يحمي مَن وراءه من أهله بمكة، وأنه أراد هذا يداً عند قريش، واستأذن بعضُ الصحابة في قتله، فقال النبي ﷺ: **«وما يُدريك أنَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر، لقتل بهذا الكتاب.

ففي هذه السورة مع سبب نزولها من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة:

فنهى تعالى أهلَ الإيمان عن اتخاذ عدوِّه وعدوِّهم وليّاً، وهذا تهييجٌ على عداوتهم، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك له.

ولنضرب لذلك مثلاً ـ ولله المثل الأعلى ـ فقدِّر نفسك مملوكاً لإنسان هو سيِّدك، والسبب في حصول مصالحك، ومنع مضارك، وسيِّدُك له عدو من الناس، فهل يصحُّ عندك، ويجوز في عقلك أن تتخذ عدوَّ سيدك ولياً، ولو لم ينهك عن ذلك؟! فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي، ورتَّب على موالاتك له أن يُعذبك، وأن يَسخط عليك، وأن يوصل إليك ما تكره، ويمنع عنك ما تحب؟! فكيف إذا كان هذا العدو لسيدك، عدواً لك أيضاً؟! فإذا واليته مع ذلك كله، إنك إذاً لمن الظالمين الجاهلين!!

ثم قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ وهذا كافٍ في إبطال شبهة المشبهين، فإنه إذا أُنكر عليهم موالاةُ المشركين وموادتهم قالوا: لم يصدر منا ذلك، وهم مع ذلك يُعينون أهلَ الباطل بأموالهم، ويذبُّون عنهم بألسنتهم، ويكاتبونهم بعورات المسلمين.

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة؟!
وقد سماه الله إلقاءً بالمودة!؟ وهذا ظاهر جداً.

ثم قال: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾[1]، فذكر ما يدعو إلى عداوتهم: وهو كُفرهم بالحق الذي جاء من عند الله، وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الإسلام؛ لأجل الإيمان بالله، ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية، وهذا تهديد شديد.

ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝﴾ أي: من يتولَّ أعداء الله، ويُلقِ إليهم بالمودة، ويسرَّ إليهم ـ فقد أخطأ الصراط المستقيم وخرج عن طريق الصواب.

ثم قال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ الآية، فبيَّن أنهم إن قدروا على المسلم، واستولوا عليه: ساموه سوء العذاب، ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم﴾ بالضرب،

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

والقتل، وبالكلام الغليظ، ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بُعده عنهم، فإنهم لا يرضون عنه ويُسلمونه من شرهم، حتى يكون دينه دينهم؛ ولهذا قال: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝﴾ كما قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1]، ثم قال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية[2]، فبيَّن أنَّ كون الرجل له أرحامٌ وأولادٌ عند المشركين، لا يُبيح له موالاتهم، كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً، فلم يعذره الله تعالى، فإنه يجب على الإنسان أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ولا يحصل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من ولده ووالده والناس أجمعين.

فقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لن ينجُّوكم من عذاب الله، فكيف تقدِّمونهم على

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٣.

مراد الله؟! ولأجلهم توالون أعداء الله!! والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم.

ثم بيّن أنَّ هذا الذي دلّهم عليه من موالاة المؤمنين، ونهاهم عنه من موالاة الكافرين - ليس هو أمراً لهم وحدهم، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: من المرسلين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1]، فقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[2].

فأمرنا سبحانه أن نتأسى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٣.

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخره، وإذا كان هذا واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع الأمور أبين وأبين.

وها هنا نكتة بديعة في قوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي: أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله؛ لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتياً بالواجب عليه، وأمّا إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[1] فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ

---

(١) سورة مريم، الآية ٤٨.

ٱللَّهِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٢].

فعليك بهذه النكتة، فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يُعادي أهله، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين.

ثم قال: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[٣]، فقوله: ﴿وَبَدَا﴾: أي: ظهر وبان، وتأمّل تقديم العداوة على البغضاء؛ لأن الأولى أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولابُد أيضاً من أن تكون العداوة

---

(١) سورة مريم، الآية ٤٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٦.

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٤.

والبغضاء باديتين، أي: ظاهرتين بينتين.

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها، وتتبين علامتها، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة.

ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]، فذكر سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم وترك موالاتهم، وهي: أنهم يقاتلون في الدين، أي: من أجله، يعني: أن الذي حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم له،

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ٩.

وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ويعاونون على إخراجهم، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين.

وفي هذه الآية أعظم دليل وأوضح برهان على أن موالاتهم محرمة منافية للإيمان، وذلك أنه قال: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فجمع بين لفظة ﴿ إِنَّمَا ﴾ المفيدة للحصر، وبين النهي الصريح، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر ـ وهو لفظة (هم) ـ ثم ذكر الظلمَ المعرَّف بأداة التعريف.

ثم قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

فنهى سبحانه أهل الإيمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم، فلا يحسُن من المؤمن، ولا يجوز منه أن يوالي من فعلَ ما يغضبُ الله تعالى من الكفر، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٣.

فصل

وهٰهنا أمور يجب التنبيه عليها، ويتعين الاعتناء بها؛ ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين.

الأمر الأول: ترك اتباع أهوائهم: وقد نهى الله تعالى عن اتباعها، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾[1].

قال شيخ الإسلام: فانظر كيف قال في الخبر: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾، وقال في النهي: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾؛ لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجرُ وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، . . . وقال سبحانه لموسى وهارون: ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٣)..... وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٤)(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) سورة يونس، الآية ٨٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية ١١٥.

(٤) سورة المائدة، الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٥) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٩٩ ـ ١٠٢).

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾[١].

وقال شيخ الإسلام: أخبر سبحانه وتعالى: أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هو: ما يهوونه[٢].

---

(١) سورة الجاثية، الآيات ١٦ ـ ١٩.

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٩٧، ٩٨).

قلت: فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفّار وسلوك ما يحبونه منهياً عنه وممنوعاً منه ـ فهذا هو المطلوب، وما نهاك إلا خوفاً من اتباعهم في أصل دينهم الباطل.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾[1]، فأخبر سبحانه وتعالى: أنه أنزل كتابه حُكماً عربياً، ثم توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾[2]... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين، وتحريم اتباعهم، وأنه من أعظم القوادح في الدين.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٠.

الأمر الثاني: معصيتهم فيما أمروا به: فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

﴿... فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾[4]، وقال تعالى إخباراً عمن أطاع رؤساء الكفر: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ...

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.
(٢) سورة الفرقان، الآيتان ٥١، ٥٢.
(٣) سورة التوبة، الآية ٧٣.
(٤) سورة الأحزاب، الآية ١.
(٥) سورة الأحزاب، الآية ٦٧.

ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾[1].

وفسر النبي ﷺ اتخاذهم أرباباً: أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فإذا كان من أطاع الأحبار - وهم العلماء - والرهبان - وهم العبّاد - في ذلك فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، فمن أطاع الجُهّال والفسّاق في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله - فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، بل ذلك أولى وأحرى.

الأمر الثالث: ترك الركون إلى الكفرة والظالمين: وقد نهى الله عن ذلك: فقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾[2]، فنهى سبحانه وتعالى عن

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢) سورة هود، الآية ١١٣.

الرُّكون إلى الظَّلَمَة، وتوعد على ذلك بمسيس من النار، وعدم النصر، والشرك هو: أعظم أنواع الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[1]، فمن ركن إلى أهل الشرك - أي: مال إليهم - ورضي بشيء من أعمالهم، فإنه مستحق لأن يعذبه الله بالنار وأن يخذله في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾[2]، فأخبر سبحانه وتعالى: أنه لولا تثبيته لرسوله ﷺ لركَنَ إلى المشركين شيئاً قليلاً، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، ولكن الله ثبته فلم يركن إليهم، بل عاداهم وقطع اليد منهم، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ - مع عصمته -

(١) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٧٤، ٧٥.

بهذه الشدة فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به.

الأمر الرابع: ترك موادة أعداء الله: قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

قال شيخ الإسلام: فأخبر سبحانه وتعالى: أنه لا يوجد مؤمن يواد كافراً، فمن واد الكفار فليس بمؤمن(٢).

قلت: فإذا كان الله تعالى قد نفى الإيمان عمن وادَّ أباه وأخاه وعشيرته ـ إذا كانوا محادين الله ورسوله ـ فمن وادَّ الكفّار الأبعدين عنه فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً.

الأمر الخامس: ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة: لأنها تُورثُ نوعَ مودّةٍ ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورثُ المشابهةَ في

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٥٥١).

الظاهر.

وهذا أمر يشهد به الحِسُّ والتجربة؛ حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة ـ كان بينهما من المودَّة والموالاة والائتلاف أمرٌ عظيم، وإن كانا في مِصْرِهما لم يكونا متعارفين، أو كانا مُتهاجرين؛ وذاك لأن الاشتراك في البلد نوعٌ وصفٍ اختصَّا به عن بلد الغُربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر أو المركوب، ونحو ذلك ـ لكان بينهما من الائتلاف أكثَر مما بين غيرهما.

وكذلك تجد أربابَ الصناعات الدُّنيوية، يألفُ بعضُهم بعضاً، ما لا يألفون غيرَهم، حتى إنَّ ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة: إمَّا على الملك، وإما على الدين.

وكذلك تجدُ الملوك ونحوهم من الرؤساء، وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ـ بينهم مناسبة تورثُ مشابهةً

ورعاية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجَبُ الطباع ومقتضاه، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

فإذا كانت المشابهةُ في أمور دنيوية، تورثُ المحبة والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟! فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثرُ وأشد، وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[1].

قلت: فإذا كانت مشابهة الكفّار في الأفعال الظاهرة إنما نهي عنها؛ لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ومحبتهم، فالنهي عن هذه الغاية والمحذور أشد، والمنعُ منه وتحريمه أوكد، وهذا هو المطلوب.

ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين:

روى أبو داود في [سننه] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٥٤٩، ٥٥٠).

قال شيخ الإسلام: وإسناده جيد، وأقل أحواله: أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾(١).

وهو نظير ما سنذكره، عن عبدالله بن عمرو: أنه قال: من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت - حشر معهم يوم القيامة(٢).

وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها: أنها كرهت الاختصار في الصلاة، وقالت: (لا تشبهوا باليهود)(٣).

وروى البيهقي بإسناد صحيح، عن عطاء بن دينار قال: قال عمر بن الخطاب: (لا تعلّموا رَطانة الأعاجم،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.
(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٢٦٩ - ٢٧١).
(٣) المرجع السابق (١/ ٣٨٨).

ولا تدخُلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم)[١].

وروى بإسناد صحيح عن أبي أسامة قال: حدثنا عوف، عن أبي المغيرة، عن عبدالله بن عمرو قال: (من بنى ببلاد الأعاجم، فصنع نيروزَهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ـ حُشِر معهم يوم القيامة)[٢].

وهذا عمرُ نهى عن تعلُّم لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟! أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم؟! أليست موافقتهم في العمل أعظَم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس عملُ بعض أعمال عيدهم أعظَم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟!

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٥١١)، وانظر [السنن الكبرى] للبيهقي (٩/ ٢٣٤).

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٥١٣).

وإذا كان السخط يُنزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يَشْركهم في العمل أو بعضه: أليس قد تعرض لعقوبة ذلك؟!

وأما عبدالله بن عمرو: فصرَّح أنه: (من بنى ببلادهم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبّه بهم حتى يموت حُشر معهم) وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهرَ لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة، لم يجز جعلُه جزءاً من المقتضى، إذ المباحُ لا يُعاقب عليه، وليس الذمُّ على بعض ذلك مشروطاً ببعض؛ لأن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً[١].

وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال عمر رضي الله

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٥١٥، ٥١٦).

عنه: (كانَ أهلُ الجاهلية لا يُفيضون من جمع حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرِقْ ثَبير كيما نُغير) قالَ: فخالفهم النبي ﷺ، وأفاض قبل طلوع الشمس).

وقد رُوي في هذا الحديث - فيما أظنه - أنه قال: «**خالف هدينا هدي المشركين**»؛ وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، فخالفهم النبي ﷺ، بالإفاضة بعد الغروب[1].

وعن عبدالله بن عمرو قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصْفرين فقال: «**إن هذه من ثياب الكفّار، فلا تلبسها**» رواه مسلم، علل النهي عن لبسها؛ بأنها: من ثياب الكفّار[2].

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عُتْبة بن فَرقد: (وإياك وزي أهل الشرك) وهو في

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٥٩).
(٢) المرجع السابق (١/ ٣٦٠).

[الصحيحين](١).

وروى الخَلاَّل، عن محمد بن سيرين: أن حُذيفة بن اليمان أتى بيتاً، فرأى فيه شيئاً من زي العجم، فخرج وقال: (من تشبَّه بقوم فهو منهم)، وقال علي بن أبي صالح السواق: (كُنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج، فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس، زي المجوس(٢)!!

وعن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أحمُس يُقال لها: زينب، فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت مُصْمِتة، فقال لها: تكلمي، فإنَّ هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٦١).
(٢) المرجع السابق (٣٦١، ٣٦٢).

من المهاجرين، قالت: أيُّ المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لَسؤول، وقال: أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم، قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم أولئك على الناس. رواه البخاري في [صحيحه].

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه: أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية؛ قاصداً بذلك عيبَ هذا العمل وذمَّه.

وتعقيبُ الحكم بالوصف: دليلٌ على أن الوصف علةٌ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية وصفٌ يوجب النهي عنه، والمنع منه[1].

وقد كتب عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (٣٧٠ ـ ٣٧٢).

المسلمين المقيمين ببلاد فارس: (إياكم وزي أهل الشرك).

وهذا نهي منه للمسلمين عن كل ما كان من زي المشركين[١].

وفي كتابه إلى عتبة بن فَرقد: (إياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبُوس الحرير)[٢].

وروى الإمام أحمد في [المسند]: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية ـ فذكر فتح بيت المقدس ـ قال حمَّاد بن سلمة: فحدَّثني أبو سنان، عن عُبيد بن آدم، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين تُرى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدسُ كلُّها بين يديك، فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيتَ اليهودية!! لا، ولكن

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٧٢).
(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧٣).

أصلي حيثُ صلّى رسولُ الله ﷺ، فتقدّم إلى القبلة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكُناسة في ردائه، وكنس الناس[(١)].

فعمر رضي الله عنه عاب على كعب[(٢)] مضاهاة اليهودية، أي: مشابهتها في مجرّد استقبال الصخرة؛ لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلةً باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها.

وقد كان لعمر رضي الله عنه - في هذا الباب - من السياسات المحكمة ما هي مناسبةٌ لسائر سيرته المرضية، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوبُ الإسلام بيده غرباً، فلم يفرِ عبقريٌّ فريه، حتى صدَر الناسُ بعطن، فأعز الإسلام، وأذل الكفرَ وأهله، وأقام شعار الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى نقض عُرى

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٧٣، ٣٧٤).
(٢) هو: كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار.

الإسلام؛ مطيعاً في ذلك لله ولرسوله، وقّافاً عند كتاب الله، ممتثلاً لسنّة رسول الله ﷺ، محتذياً حذو صاحبيه، مشاوراً في أموره للسابقين الأوّلين. . . حتى إنَّ العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من استعمال كافرٍ أو ائتمانه على أمر الأمة، وإعزازه بعد إذ أذلّه الله، حتى روي عنه أنه حرّق الكتبَ العجمية وغيرها، وهو الذي منع أهل البدع أن ينبغوا، وألزمهم ثوب الصغار[1].

وروى الخلاَّلُ بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأله رجل: أحتقن؟ قال: (لا تبدِ العورة، ولا تستن بسنّة المشركين)، فقوله: (لا تستن بسنّة المشركين) عام.

وروى أبو داود عن أنس: أنه دخل عليه غلام، وله قَرْنان أو قُصّتان، فقال: احلِقوا هذين، أو قصُّوهما، فإن

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٧٥ - ٣٧٧).

هذا زي اليهود.

علل النهي عنهما بأن ذلك زيُّ اليهود، وتعليلُ النهي بعلةٍ يوجب أن تكون العلةُ مكروهة، مطلوب عدمها، نقل ذلك شيخ الإسلام[١].

وقال أيضاً عند قوله ﷺ: «**هل بها عيد من أعياد الجاهلية؟**»: وهذا نهي شديد عن أن يُفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان.

وأعياد الكفار - من الكتابيين والأميين - في دين الإسلام من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم، وإن كان بعضه أشد تحريماً من بعض[٢].

وإذا كان الشارع قد حَسَم مادَّة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم بشيء من أمر الكفّار، الذين قد يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب؛ فالخشية من تدنسه بأوضار[٣]

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٨٥، ٣٨٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٩٨).

(٣) الأوضار: هي الأوساخ.

الكتابين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد.

إلى أن قال: بل قد بالغ ﷺ في أمر أمّته بمخالفتهم في كثير من المباحات، وصفات الطاعات؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم، فإنه كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم.

فليس بعد حرصه على أمّته ونصحه لهم غاية ـ بأبي هو وأمي ـ وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1].

قلت: فإذا كانت مبالغته ﷺ في أمر أمّته بمخالفة الكفار إنما هي خوفاً من أن تكون مشابهتهم في الهدي الظاهر، مؤديةً وجارّةً إلى الموافقة والموالاة، فما بال كثير ممن يدّعي الإسلام قد وقع في المحذور بعينه، وهم

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٤٩٩، ٥٠٠).

مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟!!

وروى أبو داود في [سننه] وغيره من حديث هشيم: أخبرنا أبو بشر، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار، قال: اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة، كيف يجمع الناس لها؟... فذكروا له شبُّور اليهود، فلم يعجبه ذلك، وقال: «**هو من أمر اليهود**»، قال: فذكروا له الناقوس، فقال: «**هو من أمر النصارى**» الحديث[1].

قال في [القاموس]: شبور، كتنور، البوق الذي يُنفخ فيه ويزمر. اهـ[2].

والغرض: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما كره بوقَ اليهود: المنفوخ بالفم، وناقوس النصارى: المضروب

---

(١) أورده المؤلف مختصراً. انظر الحديث بتمامه في [سنن أبي داود] (١/ ١٤٣) كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، حديث (٤٩٨).

(٢) [القاموس المحيط] (٢/ ٥٦).

باليد ـ علَّل هذا بأنه من أمر اليهود، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى؛ لأن ذكر الوصف عقيب الحكم، يدلُّ على أنه علة له، وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى.

وهذا يقتضي كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً؛ لأنه من أمر اليهود والنصارى. فإن النصارى كانوا يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة، غير أوقات عباداتهم.

وإنما شعار الدين الحنيف: الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى، الذي به تفتح أبواب السماء، فتهرب الشياطين، وتنزل الرحمة.

وقد ابتُلي كثير من هذه الأمة ـ من الملوك وغيرهم ـ بهذا الشعار اليهودي والنصراني.

وهذه المشابهة لليهود والنصارى وللأعاجم: من الروم والفرس، لما غلبت على ملوك المشرق، هي

وأمثالها، مما خالفوا به هدي المسلمين، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ـ سُلِّط عليهم الترك الكافرون، الموعود بقتالهم، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله؛ وذلك تصديق قوله ﷺ: «لتركبنَّ سنن من كان قبلكم». انتهى من [الاقتضاء][1].

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدي المسلمين ـ بتسليط أهل الترك الكفار على ما ذكره شيخ الإسلام ـ وقع نظيره في هذه الأزمان، فإن المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدي اليهود والنصارى، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم أعداء الله، وتشبهوا بهم في كثير من الأمور ـ سُلط عليهم أهل الترك الكافرون الخارجون عن شرائع الإسلام.

فجرى على الإسلام محنٌ عظيمة، وأمور كبيرة، حتى أنهم يُذلُّون الرئيس، ويمتهنون الشيخ الكبير، ولا

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨).

يرحمون العاجز ولا الضعيف، فأفسدوا الأديان، وخرَّبوا البلدان، وأهانوا الأبدان، وذلك بحكمة الدَّيان، عقوبة على الظلم والعصيان، والله المستعان وعليه التكلان.

ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول، ويأبى الله إلا إظهار دين الرسول ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

فإذا محَّص اللهُ أهلَ الإيمان، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان، وشمخت أنوفُ أهل الفساد والكفران، وظنوا أنَّ الدولة لهم في غابر الأزمان، أظهر الله عليهم شمس الإسلام والإيمان، فمزَّقهم بها في أقرب أوان، وشرَّدهم إلى أقصى البُلدان.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٣٢، ٣٣.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والله ناصرُ دينِه وكتابه ورسُوله في سائر الأزمان
لكنْ بمحنة حِزْبِه من حَرْبه ذا حُكْمُهُ مُذْ كانتِ الفتنانُ[١]

وقال أيضاً:

والحقُّ منصورٌ ومُمْتَحَنٌ فلا تَعْجَبْ فهذي سُنَّةُ الرحمن
وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ من حَرْبِهِ ولأجْلِ ذَاكَ الناسُ طائفتانِ[٢]

وقال شيخ الإسلام في الكلام على شروط أهل الذمة: وذلك يقتضي: إجماع المسلمين على التمييز عن الكفار ظاهراً، وترك التشبه بهم، ولقد كان أمراء الهدى مثل العُمرين وغيرهما، يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود[٣].

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني: أن عمر رضي الله عنه كتب: أن لا تكاتبوا أهل الذمة، فتجري بينكم وبينهم

---

(١) [الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية «القصيدة النونية»] للإمام ابن قيم الجوزية، عني بها عبدالله بن محمد العمير، ط. دار ابن خزيمة ـ الرياض، ص ١٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٦٥).

المودة، ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم[(١)].

ثم قال: ومن جملة الشروط: ما يعود بإخفاء منكرات دينهم، وترك إظهارها، ومنها: ما يعود بإخفاء شعار دينهم، فاتفق عمر رضي الله عنه، والمسلمون معه، وسائر العلماء بعدهم، ومن وفقه الله عز وجل من ولاة الأمور ـ على منعهم من أن يُظهروا في دار الإسلام شيئاً مما يختصون به؛ مبالغةً في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها، ومنها: ما يعود بترك إكرامهم، وإلزامهم الصَّغار الذي شرعه الله تعالى.

ومن المعلوم: أن تعظيم أعيادهم، ونحوها، بالموافقة: فيها نوعٌ من إكرامهم، فإنهم يفرحون بذلك، ويُسرُّون به، كما يغتمُّون بإهمال أمر دينهم الباطل[(٢)].

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٦٩).

قال شيخ الإسلام أيضاً: وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾[١]، ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[٢]....، وقد قال تعالى: لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء.

ومن تابع غيرَه في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر؛ لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني ـ أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي ـ لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي: «أنت مني وأنا منك».

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.
(٣) سورة التوبة، الآية ٦٧.

فقول القائل: لستُ من هذا في شيء، أي: لست مشاركاً له في شيء، بل أنا متبرىء من جميع أموره.

وإذا كان قد برأ اللهُ رسولَه ﷺ من جميع أمورهم، فمن كان متبعاً للرسول ﷺ حقيقة كان متبرئاً كتبرُّئه، ومن كان موافقاً لهم كان مخالفاً للرسول ﷺ بقدر موافقته لهم، فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما، كلما شابهت أحدهما خالفه الآخر[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ ـ يعيبُ بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود... إلى قوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

---

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

إلى آخر السورة[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إلى آخر السورة[٢].

فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة، والمهاجر: من هَجَر ما نهى الله عنه، والجهادُ باقٍ إلى يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيتين[٣].

ونظائر هذا في غير موضع من القرآن: يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً ـ الذين هم حزبه وجنده ـ ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين، ولا يوادونهم. والموالاة

(١) سورة المجادلة، الآيات ١٤ ـ ٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآيات ٧٢ ـ ٧٥.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ٥٥، ٥٦.

والموادَّة وإن كانت متعلِّقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم.

ومشاركتهم في الظاهر: إن لم تكن ذريعة، أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع ما من الموالاة والموادَّة ـ فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة ـ كما توجبه الطبيعة[1]، وتدل عليه العادة ـ ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً، قال لي: ما لك؟! قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[2] ألا اتخذت حنيفاً؟!، قال: قلت: يا

---

(١) الطبيعة هنا بمعنى: الفطرة والجبلة والسجية التي جبل عليها الإنسان، انظر [مختار الصحاح] ص (٣٨٧) (ط ب ع).

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمُهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

ولما دل عليه معنى الكتاب: جاءت سنة رسول الله ﷺ، وسنّة خلفائه الراشدين ـ التي أجمع الفقهاء عليها ـ بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

ففي [الصحيحين] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**» أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع؛ لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط ـ فهو لأجل ما فيه من المخالفة، فالمخالفة: إما علةٌ مفردة، أو علةٌ أخرى، أو بعضُ علة، وعلى التقديرات: تكون مأموراً بها مطلوبة من الشارع(١).

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ١٨١ ـ ١٨٦).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾[1]، قال الضَّحاك: الزور: عيدُ المشركين، رواه أبو الشيخ بإسناده، وبإسناده عنه: الزور: كلام الشرك، وبإسناده عن عمرو بن مرة: لا يمالؤون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم، وبإسناده عن عطاء بن يسار قال: قال عمر: (إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم).

وقول هؤلاء التابعين: إنه أعياد الكفار، ليس مخالفاً لقول بعضهم: إنه الشرك، أو صنم كان في الجاهلية، ولقول بعضهم: إنه مجالس الخنا، وقول بعضهم: إنه الغناء؛ لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا، يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى؛ لحاجة المستمع إليه، أو لينبه به على الجنس.

ووجه تفسير التابعين المذكورين: أن الزور: هو

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢.

المحَسَّن المموه، حتى يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة. . . ولهذا فسره السلف تارة: بما يظهر حسنه؛ لشبهة أو لشهوة. . . فالشرك ونحوه: يظهر حُسنه للشبهة، والغناء ونحوه: يظهر حُسنه للشهوة.

وأما أعياد المشركين: فجمعت الشبهة والشهوة، وهي باطلة، إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة، فعاقبتها إلى ألم، فصارت زوراً، وحضورها: شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها ـ الذي هو مجرد الحضور ـ برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك ـ من العمل الذي هو عمل الزور ـ لا مجرد شهوده[1].

واعلم أنا لو لم نعلم من موافقتهم إلا ما قد أفضت إلى هذه القبائح؛ لكان عملنا بما وافقت الطباع عليه، واستدلالنا بأصول الشريعة يوجب النهي عن هذه الذريعة، فكيف وقد رأينا من المنكرات ـ التي أفضت إليها

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣).

المشابهة ـ مما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالكلية؟!!

وسر هذا: أن المشابهة تُفضي إلى كفر أو معصية غالباً، أو تفضي إليهما في الجملة، وما أفضى إلى ذلك كان محرماً.

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار، ولكن رحم الله من تنبَّه للسر الذي سيق الكلام لأجله، وهو: أن المشابهة في الهدي الظاهر إنما نُهي عنها؛ لأنها تورث نوع مودة وموالاة في الباطن، وتفضي أيضاً إلى كفر أو معصية، وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنها، فإذا علمت ذلك وتبين لك ماوقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم ـ من موالاة الكفار والمشركين التي إنما نُهي عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع فيها ـ تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور، وتوسَّطوا مفازة المهلكة.

والله الهادي إلى سواء الصراط.

فصل

في ذكر جوابات عن إيرادات أوردها بعضُ المسلمين على أولاد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفا عنهم.

فمن ذلك: ما قولكم: في رجل دخل هذا الدين وأحبه، ولكن لا يعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفِّرهم، أو قال: أنا مسلم ولكن ما أقدر أكفِّر أهل لا إله إلا الله، ولو لم يعرفوا معناها؟!

ورجلٍ دخل هذا الدين وأحبه، ولكن يقول: لا أتعرَّض القِباب، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها؟

فالجواب: أن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيدَ، ودان به، وعمل بموجبه، وصدَّق الرسول ﷺ فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به، وآمن به وبما

جاء به.

فمن قال: لا أُعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفِّرهم، أو قال: لا أتعرض أهل لا إله إلا الله، ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله، أو قال: لا أتعرض القباب - فهذا لا يكون مسلماً، بل هو ممن قال الله فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

والله سبحانه وتعالى: أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم، وتكفيرهم فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٥٠، ١٥١.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الآيات[٢]، والله أعلم.

نقل من جواب الشيخ حُسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأخيه عبدالله.

وفي أجوبة أخرى: ما قولكم في الموالاة والمعاداة: هل هي من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها؟

الجواب: أن يقال: والله أعلم: حَسْب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين، وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، وأخبر: أن ذلك من شروط الإيمان، ونفي الإيمان عمَّن يواد من حاد الله ورسوله، ولو كانوا: آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ١.

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها: فلم يكلِّفنا الله بالبحث عن ذلك، وإنما كلَّفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه، وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه.

ومن عرف أن ذلك من معناها، أو من لوازمها ـ فهو حسن وزيادة خير، ومن لم يعرف فلم يكلَّف بمعرفته، لا سيما إذا كان الجدال في ذلك والمنازعة فيه مما يُفضي إلى شرٍ واختلاف، ووقوع فرقةٍ بين المؤمنين ـ الذين قاموا بواجبات الإيمان وجاهدوا في سبيل الله، وعادوا المشركين، ووالوا المسلمين ـ والسكوت على ذلك متعين. وهذا ما ظهر لي. على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى، والله أعلم[1].

---

(١) [فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك] للشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، بتحقيق د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان، نشرت في (مجلة البحوث الإسلامية) ع ٢٥ ص (٢١٨ ـ ٢٢٠).

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين وهي **المسألة الأولى**.

وأما المسألة الثانية: وهي الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً:

فأحدها: الشرك بالله تعالى: وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته يدعوه كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله، أو يصرف له شيئاً من عبادة الله، فإذا فعل ذلك: كفر، وخرج من الإسلام، وإن صام النهار وقام الليل.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ

(١) سورة الزمر، الآية ٨.

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾[١]، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين ـ فقد كفر، وخرج من الإسلام، وحبطت أعماله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٨٨﴾[٢].

الثاني: إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم:

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٢٨﴾[1].

وذكر الفقيه سليمان ابن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ في هذه المسألة ـ عشرين آية من كتاب الله وحديثاً عن رسول الله ﷺ[2]، استدل بها على أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه: أنه يكون بذلك مرتداً خارجاً من دين الإسلام، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، ويفعل الأركان الخمسة ـ فإن ذلك لا ينفعه.

وقال شيخ الإسلام ـ المذكور إمام هذه الدعوة الحنيفية ـ في كلامه على آخر سورة الزمر:

الثانية: أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كَفَر، ولو كان باطنُه يعتقد الإيمان، فإنهم لم يُريدوا من النبي ﷺ تغييرَ عقيدته، ففيه بيان لما يكثُر وقوعه ممن

---

(١) سورة محمد، الآيات ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) هي الرسالة المعروفة بـ[الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك].

ينتسب إلى الإسلام ـ في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم ـ ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له.

إلى أن قال:

الثالثة: أن الذي يكفُر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة، فإن هؤلاء الذين ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ـ مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم ـ فهذا كافر؛ إلا من أكره...

إلى أن قال رحمه الله: ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات: من كون المسلم يوافقُهم في شيء من دينهم الظاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ، فافهمه فهماً حسناً؛ لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام، وقد بادر أباه وقومَه بالعداوة عنده.

وقال في سورة الكهف: التاسعة: المسألة العظيمة

المُشْكِلة على أكثر الناس. أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً، كارهاً لموافقتهم فقد كَذَب في قول: لا إله إلا الله، واتخذ إلـٰهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها. العاشرة: أنه لو يصدر منهم ـ أعني: موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم ـ مع كراهتهم لذلك، فهو قوله: ﴿شَطَطًا ۝﴾ والشطط: الكفر.

واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين: له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: مما يصير به المسلم مرتداً: موالاة المشركين: والدليل: قوله تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝﴾[1].

وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.

ﵟٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍﵞ[(١)]، فذكر في الآية الأولى: أن من تولّى اليهود والنصارى فهو منهم، وظاهرها: أن من تولاهم فهو كافر مثلهم، ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد تقدم قولُ عبدالله بن عتبة عند قوله: ﵟوَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗﵞ: (ليتق أحدكُم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر).

وقال ابن جرير في قوله: ﵟفَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍﵞ يعني: فقد برىء من الله، وبرىء الله منه؛ لارتداده عن دينه[(٢)].

وأما قوله: ﵟإِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗﵞ[(٣)]، فهي كقوله: ﵟإِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِﵞ[(٤)]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٢) [تفسير الطبري] (٦/ ٣١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٤) سورة النحل، الآية ١٠٦.

وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

الأمر الرابع: الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار: والدليل: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[1].

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى: لما سُئلوا عن هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ وعن قوله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله».

قالوا: الجواب: أن معنى الآية على ظاهرها، وهو: أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأُ بها، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار، ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ـ فهو

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٠.

كافرٌ مثلُهم وإن لم يفعل فعلَهم؛ لأنَّ ذلك يتضمن الرضا بالكفر، والرِّضا بالكفر كفر.

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذَّنب كفاعله، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يُقبل منه؛ لأن الحكم بالظاهر، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً.

ولهذا لما وقعت الردَّةُ بعد موت النبي ﷺ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ـ لم يقبل منهم الصحابة ذلك، بل جعلوهم كلهم مرتدين، إلا من أنكر بلسانه.

وكذلك قوله في الحديث: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**» على ظاهره، وهو أن الذي يدّعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم بحيث يعدُّه المشركون منهم ـ فهو كافر مثلهم، وإن ادعى الإسلام، إلا إن كان يظهر دينه ولا يتولى المشركين.

انتهى(١).

قلت: ويأتي مخاطبة خالد لمُجَّاعة، وفيه: (يامُجَّاعة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذَّاب، وسكوتك عنه إقراراً له) إلى آخره.

وتقدم قول عبدالله بن عمرو: (من بنى ببلاد المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ـ حُشِر معهم يوم القيامة).

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(٢).

الأمر الخامس: الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله:

---

(١) [فتيا في حكم السفر إلى بلاد المشركين] نشرت في (مجلة البحوث الإسلامية) ع ٢٥، ص (٢١٣ ـ ٢١٤).

(٢) سورة النحل، الآيتان ١٠٦، ١٠٧.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦ ﴾[1].

واعلم أن الاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح: كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: (ما رأينا مثل قُرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء)، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: (دينكم هذا دين خامس)، وقول الآخر: (دينكم أخرق)، وقول الآخر ـ إذا رأى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ـ: (جاءكم أهل الديك) بالكاف بدل النون، وقول الآخر ـ إذا رأى طلبة العلم ـ: (هؤلاء الطَّلْبة) بسكون اللام وما أشبه ذلك، مما لا يحصى إلا بكُلفة مما هو أعظمُ من قول

(١) سورة التوبة، الآيتان ٦٥، ٦٦.

الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غيرُ الصريح: وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل: الرّمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدّ الشفة، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر السادس: ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾[1]. فبين الله كفر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها.

الأمر السابع: كراهة ما أنزل الله على رسوله من

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٢.

الكتاب والحكمة: والدليل: قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[(١)].

الأمر الثامن: عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن، والأحاديث، والمجادلة في ذلك: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾[(٢)].

الأمر التاسع: جحدُ الناس شيئاً من كتاب الله، ولو آية أو بعضها، أو شيئاً مما جاء عن النبي ﷺ: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[(٣)]، وهذا أخص من

---

(١) سورة محمد، الآية ٩.
(٢) سورة غافر، الآية ٤.
(٣) سورة النساء، الآيتان ١٥٠، ١٥١.

الذي قبله.

الأمر العاشر: الإعراض عن تعلُّم دين الله، والغفلةُ عن ذلك: والدليل: قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾[1].

الأمر الحادي عشر: كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ ﴾[2]، فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا مشرك، وقد تبيَّن أن من أشرك بالله فهو كافر.

الأمر الثاني عشر: السحرُ: تعلمه وتعليمه، والعملُ بموجبه: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ وَمَا

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٣.

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[١].

الأمر الثالث عشر: إنكار البعث: والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢].

الأمر الرابع عشر: التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات...، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكزخان)، الذي وضع لهم [اليَسَاق] وهو: عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى...، فصارت في

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الرعد، الآية ٥.

بَنِيه شرعاً متبعاً، يُقَدِّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن فَعل ذلك منهم فهو كافرٌ يجب قتاله، حتى يرجع إلى حُكم الله ورسوله ﷺ، فلا يُحكَّمُ سواه في قليل ولا كثير. قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] [2].

قلت: ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم، من تحكيم عادات آبائهم، وما وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها: (شرع الرفاقة)، يقدِّمونها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا ريب أنَّ من لم يعتقد

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٢) [تفسير ابن كثير] (٣/١٣١).

وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله ـ فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله ـ فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرُهم، بل كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزِّلها الله سبحانه وتعالى؛ كسواليف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة.

وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله ـ فهم كفار. انتهى من [منهاج السنّة النبوية] ـ ذكره عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ﱡﭐ ﭐ ﭐالْكَافِرُونَ ﱠ[١] - فرحمه الله وعفا عنه[٢].

فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها، وإن كان قد يقال: إن بعضها يغني عن بعض، أو يندرج فيه، فذكرها على هذا الوجه أوضح.

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى فكثير جداً، وقد ذكر صاحب [الإقناع] أشياء كثيرة في باب حكم المرتد - وهو الذي يكفر بعد إسلامه - وقد لخصت منه مواضع يسيرة.

فمن ذلك قوله: قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقاً.

ومنها: قوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط - يتوكل عليهم ويسألهم - كفر إجماعاً.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٢) [منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية] لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم (٥/ ١٣٠).

ومنها: قوله: أو وجد منه امتهان للقرآن، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: أو سخر بوعد الله أو بوعيده، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: أو لم يكفِّر من دان بغير الإسلام أو شك في كفرهم، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: قال الشيخ: ومن استحلَّ الحشيشة كفر بلا نزاع[1].

قلتُ: من استحلَّ موالاة المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين ـ فكفره أعظمُ من كفر هذا؛ لأن تحريم ذلك آكد وأشد من تحريم الحشيشة.

ومنها: قوله: ومن سَبَّ الصحابة أو أحداً منهم واقترن بسبِّه دعوى أن علياً إله أو نبي، أو أن جبرائيل غلط ـ فلا

---

(١) [الإقناع لطالب الانتفاع] للحجاوي ـ تحقيق د/ عبدالله التركي (٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٨).

شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

ومنها: قوله: أو زعم أن للقرآن تأويلات باطلة تُسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك ـ فلا خلاف في كفر هؤلاء.

ومنها: قوله: أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر، أو أنهم فسقوا ـ فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك، بل من شكَّ في كفره فهو كافر[1]. انتهى ملخصاً، وعزاه [الصارم المسلول][2].

ومنها: قوله: ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ـ فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾[3].

---

(١) [الإقناع] (٤/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) [الصارم المسلول على شاتم الرسول] لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ حققه وفصّله وعلق حواشيه/ محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٥٨٦، ٥٨٧).

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠.

قلت: فإذا كان من جحد مدلول آية كفر، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الانتساب إلى الإسلام، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين آية، أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادّعاء الإسلام؟! بلى والله، بلى والله، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوىٰ النفوس اللذان يصدان عن معرفة الحق واتباعه.

ومنها: قوله: أو جحد حل الخبز أو اللحم أو الماء - أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: أو أحل الزنا ونحوه - أي: فيكفر بذلك.

قلت: ومن أحل الركون إلى الكافرين وموادّة المشركين - فهو أعظم كفراً ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة.

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره، حتى أن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الإسلام، وأنه يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل مرتداً،

ولم يُغَسَّل، ولم يصلّ عليه، ولم يدفن مع المسلمين، وهو مع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويفعل الأركان الخمسة. ومن له أدنى نظر واطلاع على كلام أهل العلم فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك.

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان ـ من المنتسبين إلى الإسلام، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ـ فهي من قواصم الظهور، وأكثرها أعظمُ وأفحش من كثير مما ذكره العلماء من المكفرات، ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء لما كان أكثرها محتاجاً لمن يُنبِّه عليه.

فصـــل

وأما المسألة الثالثة: وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم: فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن، فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادُّهم بباطنه - فهذا كافر خارج من الإسلام، سواء أكان مكرهاً على ذلك أو لم يكن مكرهاً، وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[1].

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخالفتهم في الظاهر - فهذا كافر أيضاً، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه، وهو المنافق.

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

الحالة الثالثة: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين:

أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سُلطانهم مع ضربهم أو تقييدهم له، أو يتهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[2]، فالآيتان دلتا على الحكم، كما نبّه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران[3].

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٣) [تفسير ابن كثير] (٢/ ٣٠).

ذلك؛ إما طمعٌ في رئاسة أو مال، أو مشحّةٌ بوطنٍ أو عيالٍ أو خوف مما يحدث في المآل، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً، ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾(١).

فأخبر: أنه لم يحملهم على الكفر الجهل بالحق أو بغضه، ولا محبةُ الباطل، وإنما هو: أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين، هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً فإنه من تزيين الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين، والانقياد لهم، وآخرُ منهم إذا زيّن له الشيطان طمعاً دنيوياً تخيّل أنه يجوز له موافقة المشركين

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٧.

لأجل ذلك، وشبه على الجهال أنه مُكره.

وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: تأملت المذهب، فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المُكره عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص - في غير موضع - على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهاً.

وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها أو مسكنها - فلها أن ترجع؛ بناءً على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يُطَلِّقها أو يسيءَ عشرتها، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً في الهبة، ولفظه في موضع آخر؛ لأنه أكرهها، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر، فإن الأسير إن خشي من الكفار أن لا يزوجوه أو أن يحولوا بينه

وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر. اهـ[١].

والمقصود منه: أن الإكراه على كلمة الكفر لا يكون إلا بالتعذيب: من ضرب أو قيد، وأن الكلام لا يكون إكراهاً، وكذلك الخوف من أن يحول الكفَّارُ بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً.

فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس - تبين لك قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً» وقد عاد غريباً، وأغربُ منه من يعرفه على الحقيقة، وبالله التوفيق.

---

(١) [الفتاوى الكبرى] لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق/ محمد ومصطفى عبدالقادر عطا - ط. دار الكتب العلمية(٥/ ٤٩٠)

فصل

وأما المسألة الرابعة: وهي مسألة إظهار الدين: فإن كثيراً من الناس قد ظن: أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يُصَلِّي الصلوات الخمس، ولا يُرَدُّ عن المسجد ـ فقد أظهر دينه، وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين.

وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط، وأخطأوا أكبر الخطأ.

واعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفِّرات، وقد تقدم بعض ذلك، وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها، ويصرح لها بعداوته، والبراءة منه، فمن كان كفرُه بالشرك فإظهار الدين عنده: التصريح بالتوحيد، والنهي عن الشرك والتحذير منه، ومن كان كفره بجحد الرسالة فإظهار الدين عنده: التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ،

والدعوة إلى اتباعه، ومن كان كفره بترك الصلاة فإظهار الدين عنده: فعل الصلاة، والأمر بها، ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم، فإظهار الدين عنده: التصريح بعداوته، والبراءة منه، ومن المشركين.

وبالجملة: فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً، وبراءته منه؛ ولهذا قال المشركون لعم النبي ﷺ: عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم آلهتنا.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة يونس، الآيات ١٠٤ ـ ١٠٦.

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ إلى آخر الآيات، أي: إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ إلى آخر السورة[1].

فأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وديني الذي أنا عليه أنتم براءٌ منه، والمراد: التصريح لهم بأنهم على الكفر، وأنه بريء منهم ومن دينهم.

فعلى من كان متبعاً للنبي ﷺ أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك؛ ولهذا لما عمل الصحابة بذلك وآذاهم المشركون ـ أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الكافرون، الآيات ١ ـ ٦.

بالهجرة إلى الحبشة، ولو وجد لهم رخصةً في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة.

وفي السيرة: أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العِرْض ـ في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدوا ـ قدَّم مائتي فارس، وقال: من أصبتم من الناس فخذوه، فأخذوا (مُجَّاعة) في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه، فلما وصل إلى خالد قال له: يا خالد، لقد علمتَ أني قدِمتُ على رسول الله ﷺ في حياته، فبايعته على الإسلام، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يكُ كذَّاباً قد خرج فينا، فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]، فقال: يا مُجَّاعة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتُك عنه ـ وأنت أعز أهل اليمامة، وقد بلغك مسيري ـ إقراراً له، ورضاء بما جاء به، فهلاَّ أبديت عذراً، وتكلمت فيمن تكلم!. فقد تكلم ثُمامة فردَّ وأنكر،

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

وتكلم اليشكري.

فإن قلت: أخافُ قومي، فهلاَّ عمدت إلي، أو بعثت إلي رسولاً، فقال: إن رأيت يابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله!! فقال: قد عفوت عن دمك، ولكن في نفسي حرج من تركك[1]. اهـ.

وسيأتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ: إن الرجل إذا كان في بلد كفر وكان يقدُر على إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه، ويظهر لهم كفرهم وعداوته لهم، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله ـ فهذا لا يحكم بكفره.. إلى آخره.

والمقصود منه: أن الرجل لا يكون مظهراً لدينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم، ويصرِّحُ لهم: بأنهم كفَّار، وأنه عدوٌّ لهم، فإن لم يحصل ذلك لم يكن إظهارُ الدين حاصلاً.

(١) [الطبقات الكبرى] لابن سعد ط ـ دار صادر ـ بيروت (٥/٥٤٩).

فصل

وأما المسألة الخامسة: وهي مسألة الاستضعاف: فإن كثيراً من الناس - بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان - غلطوا في معنى الاستضعاف وما هو المراد به، وقد بيَّن الله ذلك في كتابه بياناً شافياً، فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾[1].

فبيَّن تعالى مقالتَهم الدالة على أنهم لم يُقيموا مختارين للمقام، وذلك أنهم يدعون الله أن يُخرجهم، فدل على حرصهم على الخروج، وأنه متعذر عليهم.

ويدل على ذلك: وصفُهم أهل القرية بالظلم، وسؤالُهم ربَّهم أن يجعل لهم ولياً يتولأهم ويتولونه، وأن

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٥.

يجعل لهم ناصراً ينصُرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾[1].

فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها، وهي: أنهم لا يستطيعون حيلة.

قال ابن كثير: لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، قال عكرمة: يعني: نهوضاً إلى المدينة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨﴾ قال مجاهد وعكرمة: يعني: طريقاً. اهـ[2].

والحاصل: أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين، وهم مع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٨.

(٢) [تفسير ابن كثير] (٢/ ٣٩٠).

وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[١]، وهم مع ذلك لا يدلُّون الطريق، فمن كانت هذه حاله، وذلك مقاله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[٢].

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ولم يمنعه من ذلك إلا المشحة بوطنه، أو عشيرته أو ماله، أو غير ذلك ـ فإن الله تعالى لم يعذر من تعذَّر بذلك، وسمَّاه ظالماً لنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[٣].

وفي [تفسير الجلالين]: قوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالمقام مع الكفار وترك الهجرة[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٥.
(٢) سورة النساء، الآية ٩٩.
(٣) سورة النساء، الآية ٩٧.
(٤) [تفسير الجلالين] للإمامين الجليلين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ـ مكتبة العلوم الدينية للطباعة والنشر - بيروت ـ لبنان، ص ٩٤.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين - فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً؛ بالإجماع، وبنص هذه الآية، حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: لِم مَكَثْتُم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض. ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[1].

وروى أبو داود، عن سمرة بن جندب مرفوعاً: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله».

وقال السُّدي: لما أُسِر العباس وعَقيل ونَوْفل، قال رسول الله ﷺ للعباس: «افدِ نفسك، وابن أخيك» قال: يا رسول الله، ألم نُصَلِّ قبلَتَكَ، ونشهد شهادتك؟!

(١) سورة النساء، الآية ٩٧.

قال: «يا عباس، إنكم خاصمتم فخُصِمْتم» ثم تلا عليه هذه الآية ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. انتهى[1].

والمقصود منه: بيان مسألة الاستضعاف، وأن المستضعف هو: الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، وهو مع ذلك يقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾[2].

وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً ـ كاذبٌ في دعواه، وعذرهُ غيرُ مقبولٍ عند الله تعالى، ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة الله.

---

(١) [تفسير ابن كثير] (٢/٣٨٩).

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

فصل

أما المسألة السادسة: وهي وجوب الهجرة، وأنها باقية: فالدليل عليه: قول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه أحمد وأبو داود.

وروى أبو يعلى، عن أزهر بن راشد قال: حدث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تستضيئوا بنار المشركين».

قال ابن كثير: معناه: لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم؛ ولهذا روى أبو داود: «لا تراءى نارهما»، وفي الحديث الآخر: «من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ

قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾(١).

وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يَتخفّون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

وقال الضّحاك: نزلت في أناس من المنافقين، تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر، فأصيبوا فيمن أصيب. ذكره ابن كثير.

ثم قال: فهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٧.

من إقامة الدين - فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية[١] . . . . . إلى آخر كلامه الذي تقدم قريباً.

وفي أجوبة آل الشيخ لما سُئلوا: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله، إن كان يقدر على إظهار دينه، ولا يوالي المشركين - جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة - كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة - إلى بلدان المشركين لأجل التجارة. ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في [مسنده] وغيره.

وإن كان لا يقدُر على إظهار دينه، ولا على عدم موالاتهم - لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العُلماء، وعليه تُحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان

(١) [تفسير ابن كثير] (٢/٣٨٩).

ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز.

وأيضاً فقد يجرّه ذلك إلى موافقتهم وإرضائهم، كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فسّاق المسلمين[1]، نعوذ بالله من ذلك.

المسألة الثانية: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا؟

الجواب عن هذه المسألة: هو الجوابُ عن التي قبلها سواء، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح، فكلُّ بلدٍ لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز له السفر إليها.

المسألة الثالثة: هل يُفرَّق بين المدة القريبة ـ مثل: شهر أو شهرين ـ وبين المدة البعيدة؟

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة ولا المدة البعيدة، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها،

(١) المسألة الأولى.

ولا على عدم موالاة المشركين ـ لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً، إذا كان يقدر على الخروج منها. انتهى[١].

وفي أجوبة أخرى: ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبَّهُ، ويحبُّ من دخل فيه، ويبغضُ الشركَ وأهله، ولكنَّ أهلَ بلده يصرِّحون بعداوة أهل الإسلام، ويقاتلون أهله، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار فهل يكون مسلماً هذا أم كافراً؟

الجواب: أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به وأحبه وأحب أهله، وعرف الشرك وأبغضه وأبغض أهله، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر منه ـ فهذا فيه تفصيل:

فإن كان يقدر على إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين، ويظهر لهم كفرهم وعداوته

---

(١) [فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك] نشرت في (مجلة البحوث الإسلامية) ع ٢٥ ص (٢١٠ ـ ٢١٣).

لهم، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ـ فهذا لا يحكم بكفره، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ومات بين أظهر المشركين ـ فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيتين، فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولا يهتدي سبيلاً.

ولكن قلَّ أن يوجد اليوم من هو كذلك، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم، بل إمَّا قتلوه وإمَّا أخرجوه.

وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة، وجلس بين أظهرهم، وأظهر لهم أنه منهم، وأن دينهم حق ودين الإسلام باطل ـ فهذا كافرٌ مرتد، ولو عرف الدينَ بقلبه؛ لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا عن الآخرة، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه، فدخل في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ الآيات[1].

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

هذا من جواب الشيخ حسين والشيخ عبدالله ابني الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم.

ولما سُئلوا عن أهل بلدٍ بَلَغَتهُم هذه الدعوة، وبَعْضُهم يقول: هذا الأمر حق، ولا غَيَّرَ منكراً، ولا أَمَر بمعروف، ويُنْكِرُ على الموحِّدين إذا قالوا: تبرَّأنا من دين الآباء والأجداد، والذي يقول: هذا الأمرُ زَيْن، لا يمكنه يقولُه جهاراً.

أجابوا: بأن أهل هذه القرية المذكورة إذا كانوا قد قامت عليهم الحُجّة التي يكفُر من خالفها حكمهم حكم الكفّار، والمسلم الذي بين أظهرهم، ولا يمكنه إظهار دينه ـ تجب عليه الهجرة، إذا لم يكن ممن عذره الله، فإن لم يُهاجر فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال. انتهى.

وفي هذه الأجوبة مسائل:

منها: بيانُ المستضعف، وأنه: الذي لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلاً، وقد تقدَّم ذلك.

ومنها: أن المسلم إذا لم يقدر على إظهار دينه وجبت عليه الهجرة، وقد تقدم أيضاً.

ومنها: صفةُ إظهار الدين، وهو أن يُصرِّح للكفّار بكفرهم، وعداوته لهم، ولِما هم عليه من الدين، وقد تقدم أيضاً.

ومنها: بيان أنه إذا فعل ذلك - أعني: صرح لهم بكفرهم وعداوته لهم - فإنهم لا يتركونه بين أظهرهم، بل إما قتلوه أو أخرجوه.

قلت: وقد أخبر الله بذلك عن جميع الكفار، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان ١٣، ١٤.

وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾[2]، وقوله: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: يقتلوكم بالرجم.

وهذا الذي أخبر الله به، وأشار إليه أئمة الإسلام، هو الواقع في هذه الأزمان.

فإن المرتدين بسبب موالاة المشركين والدخول في طاعتهم، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك، وإذا أنكره عليهم مُنْكِرٌ آذوه أشد الأذى، وأخرجوه من بين أظهرهم، بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، والله المستعان.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٨.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٠.

الفهـــرس

هواتف أصحاب الفضيلة أعضاء الفتوى (الخارجية والداخلية)

الاسم	الرياض مباشر	التحويلة	مكة مباشر	الطائف مباشر
سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ	٤٥٨٢٧٥٧	٢٢١٠	٥٥٨١٤٣٢	٧٣٦٠٨١٧ ٧٣٢٢٦١١
فضيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن الغديان	٤٥٨٠٧٣١	٢٣٢١	٥٥٨٤٩٥٥	٧٣٢٢٥٨٤
فضيلة الشيخ / د- صالح بن فوزان الفوزان	٤٥٨٨٥٧٠	٢٨٠١	٥٥٨١٤٢٨	٧٣٢٢٦٦٣
فضيلة الشيخ / د- بكر بن عبدالله أبو زيد	٤٥٢١٥٤١	٢٧٠٠		٧٣٣٤١٠٤
فضيلة الشيخ / د- عبدالله بن محمد المطلق	٤٥٨٥٤٤٣	٢٧٧٧	٥٥٨٢٤٥٥	٧٣٧٤٥٥١
فضيلة الشيخ / د- عبدالله بن علي الركبان	٢٧٢٢٦٧٩٠	٢٣٥٣	٥٥٦٣٨٩٤	٧٣٧٤٥٥٣
فضيلة الشيخ / د- أحمد بن علي المباركي	٢٧٢٢٦٧٩٨	٢٣٥٦	٥٥٤٣٢٥٢	٧٣٧٤٥٥٢
فضيلة الشيخ / عبدالعزيز بن محمد الداود	٤٥٩٥٩٥٦	٢٣١٦		
فضيلة الشيخ / محمد بن حسن آل الشيخ	٤٥٩٦٩٥٣	٢١٠٠		

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

السنترال ٤٥٩٥٥٥٥ - ٤٥٩٦٢٩٢ الرياض

السنترال ٥٥٨٩٨٢٥ - ٥٥٨٩٨٢٤ مكة المكرمة

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء - مكة المكرمة

سنترال : ٥٥٨٨٠٠٧

السنترال : ٧٣٢٠٩٠٠ الطائف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

أ - الرياض

السنترال: ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي: ١١١٣١

فاكسملي: ٤٥٩٦٢٩٢ - تلكس: ٤٠٣٠٩٠

٤٥٩٦٩٤٣ - إفتاء إس جي

ب ـ مكة المكرمة

السنترال: ٥٥٨٩٨٢٥

٥٥٨٩٨٢٤ فاكس: ٥٥٨٨٧٨٧

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

سنترال: ٥٥٨٨٠٠٧

جـ ـ الطائف

السنترال: ٧٣٢٠٩٠٠ فاكسملي: ٧٣٢٣٣٨٠

٧٣٦٩٤١٦

تلكس: ٧٥٠٣٦٧

ردمك: ٥ـ٢٢٢ـ١١ـ٩٩٦٠

مطابع الحميضي

تلفون ٤٥٨١٠٠٠ - فاكس ٤٥٩٢٣٦٢